

تفسير البحر المحيط

@ 504 @ وأجاب الرازي : بأن الإجماع منعقد على أن النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل ممن ليس بنبي ، وعليّ لم يكن نبياً ، فلزم القطع بأنه مخصوص في حق جميع الأنبياء . . .
وقال الرازي : استدلال الحمصي فاسد من وجوه . . .
منها قوله : إن الإنسان لا يدعو نفسه بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه ، تقول العرب : دعوت نفسي إلى كذا فلم تجيني ، وهذا يسميه أبو علي بالتجريد . . .
ومنها قوله : وأجمعوا على أن الذي هو غيره هو عليّ ، ليس بصحيح ، بدليل الأقوال التي سقت في المعنى بقوله : وأنفسنا . . .

ومنها قوله : فيكون نفسه مثل نفسه ، ولا يلزم من المماثلة أن تكون في جميع الأشياء ، بل تكفي المماثلة في شيء مّا ، هذا الذي عليه أهل اللغة ، لا الذي يقوله المتكلمون : من أن المماثلة تكون في جميع صفات النفس ، هذا اصطلاح منهم لا لغة . فعلى هذا تكفي المماثلة في صفة واحدة ، وهي كونه من بني هاشم ، والعرب تقول : هذا من أنفسنا ، أي : من قبيلتنا .
وأما الحديث الذي استدل به فموضوع لا أصل له . وهذه النزعة التي ذهب إليها هذا الحمصي من كون علي أفضل من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد صلى الله عليه وسلم) ، وتلقفها بعض من ينتحل كلام الصوفية ، ووسع المجال فيها ، فزعم أن الولي أفضل من النبي ، ولم يقصر ذلك على وليّ واحد ، كما قصر ذلك الحمصي ، بل زعم : أن رتبة الولاية التي لا نبوة معها أفضل من رتبة النبوة . قال : لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة ، والنبي يأخذ عن الله بواسطة ومن أخذ بلا واسطة أفضل ممن أخذ بواسطة . وهذه المقالة مخالفة لمقالات أهل الإسلام . نعوذ بالله من ذلك ، ولا أحد أكذب ممن يدعي أن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة ، لقد يفشعر المؤمن من سماع هذا الافتراء وحكى لي من لا أتهمه عن بعض المنتمين ، إلى أنه من أهل الصلاح ، أنه رؤي في يده كتاب ينظر فيه ، فسئل عنه . فقال : فيه ما أخذته عن رسول الله ، وفيه ما أخذته عن الله شفاهاً ، أو شافهني به ، الشك من السامع . فانظر إلى جراءة هذا الكاذب على الله حيث ادعى مقام من كلمه الله : كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء .

قيل : وفي هذه الآية ضروب من البلاغة : منها إسناد الفعل إلى غير فاعله ، وهو : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى * عِيسَى } والله لم يشافهه بذلك ، بل بإخبار جبريل أو غيره من الملائكة . والاستعارة في : { مُتَوَفَّيكَ } وفي : { فَوَقَّ السَّادِينَ كَفَرُوا } { والتفصيل لما أجمل في : { إِلَهِيَّ مَرَّجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ } بقوله : فأما ، وأما ،

والزيادة لزيادة المعنى في { مِّنْ نَّاصِرِينَ } أو : المثل في قوله { إِنَّ مَثَلَ } عيسى { . والتجوز بوضع المضارع موضع الماضي في قوله { نَتَلَوُوهُ } وفي { فَيَكُونُ } وبالجمع بين أداتي تشبيه على قول في { كَمَثَلِ ءَادَمَ } وبالتجوز بتسمية الشيء باسم أصله في { خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ } . وخطاب العين ، والمراد به غيره ، في { فَلَا تَكُنْ مِّنَ } . والعام يراد به الخاص في { تَعَالَوْاْ ۚ نَدْعُهُ أَبْنَاءَنَا } الآية